جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 46 / كانون الاول2025

التوجيه البلاغي للتكرار الصوتي في نماذج من السور القصار- قراءة تداولية جمالية

The rhetorical direction of sound repetition in selected short surahs - a pragmatic and aesthetic reading

م.د عصام راضي حسون المسعودي

Assit. Dr.Issam Radhi Hassoun Al-Masoudi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية

University Of Kerbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: التكرار الصوتي، الجماليات القرآنية، الإعجاز البلاغي، السور القصار، التداولية القرآنية، الإيقاع الصوتي.

Key words: Phonetic repetition, Quranic aesthetics, rhetorical miracle, short surahs, Quranic pragmatics, phonetic rhythm.

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة التوجيه الجمالي للتكرار الصوتي في السور القصار، بوصفها نماذج مكثفة للإعجاز القرآني، وينطلق البحث من الإطار التداولي الذي يبرز التكرار أداة للتأثير في المتلقي، ثم يتعمق في البعد الجمالي الذي يكشف عن طاقة الإيقاع القرآني في تثبيت المعنى وإحداث الأثر النفسي، وقد تناول البحث سوراً مختارة، مثل الفاتحة، والإخلاص، والفلق، والناس، والقارعة، مبيّناً كيف يُحوِّل التكرار الصوتي النص القرآني إلى تجربة سمعية وروحية متكاملة، وخلص البحث إلى أن التكرار في القرآن الكريم منظومة بلاغية مقصودة تتأسس على التوازن الصوتي، وتُسهم في تجديد أفق التلقي الجمالي والإيماني.

Abstract:

This research aims to study the aesthetic guidance of the audio repetition in the short wall, as intensive models of the Quranic miracle, and the research starts from the deliberative framework that highlights repetition tool to influence the recipient, then deepens in the aesthetic dimension that reveals the energy of the Quranic rhythm in stabilizing the meaning and creating the psychological impact, and the research has dealt with a selected wall, such as Al -Fatihah, and sincerity, The separation, the people, and the rosy, indicating how the audio repetition transforms the Qur'anic text into an integrated auditory and spiritual experience, and the research concluded that repetition in the Holy Qur'an is a deliberate rhetorical system that is based on the audio balance, and contributes to renewing the horizon of aesthetic and faithful reception.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، وجعله نوراً يُخرج العباد من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على من بُعِث رحمة للعالمين، نبينا محمد.

أما بعد فإن النَّصَ القرآني يُعَدّ ذروة الإبداع البياني، إذ تضافرَت فيه أبعاد الدلالة والتعبير لتنتج خطاباً معجزاً متفرداً، ومن أبرز وجوه هذا الإعجاز البعد الصوتي الذي يتجلى في إيقاع الحروف وتكرارها وتآلفها، وتأثيرها الذي يتجاوز حدود المعنى المباشر إلى فضاءات وجدانية وروحية عميقة، فالقرآن الكريم ينسج شبكة من الأصوات والإيقاعات التي تعمل على تثبيت المعنى في الذاكرة، وإحداث أثر نفسي مباشر في وجدان المتلقي.

وتمثل السور القصار نموذجاً مكثفاً لهذا الإعجاز، إذ تتسم بقصر المبنى مع غزارة المعنى، وبكثافة التكرار الصوتي الذي يضاعف الأثر البلاغي، ففي سورة الإخلاص مثلاً يتناغم التكرار الصوتي مع العقيدة التوحيدية، وفي سورتي الفلق والناس يتكامل تكرار الأصوات المهموسة والمجهورة ليعكس أبعاد الحماية واللجوء والرهبة، بينما تبرز في سورة القارعة حدة الأصوات وارتطامها لتجسد رهبة الموقف.

ويأتي هذا البحث ليكشف عن التوجيه الجمالي للتكرار الصوتي في السور القصار، مستنداً إلى التحليل التداولي والجمالي، ومؤسَّساً على رؤية تُبرز كيف أنَّ التكرار ليس زخرفاً لفظياً، بل نظامٌ بلاغيٌّ متكاملٌ يُعبّر عن مقاصد النص القرآني، ويؤكد إعجازه المتجدد عبر العصور.

– **إشكالية البحث:** ينطلق هذا البحث من إشكالية محورية تتعلق بكيفية توظيف التكرار الصوتي بمستوياته المتعددة (الحرف، الكلمة، الجملة) في السور القصار، لتحقيق أبعاد تداولية تتمثل في التأثير المباشر بالمتلقي وتوجيه سلوكه، وأبعاد جمالية تقوم على الإيقاع الموسيقي والأثر الوجداني، والسؤال المحوري: كيف يسهم التكرار في صياغة بلاغة النص القرآني وتعميق دلالاته؟

– أسئلة البحث:

– كيف يسهم التكرار في تحقيق أغراض تداولية محددة مثل التأكيد، الترهيب، الترغيب، والتأسيس للحالة النفسية؟

– ما الدور الذي يضطلع به التكرار في بناء البنية الإيقاعية والجمالية للسورة؟

– كيف تتكامل الوظيفتان التداولية والجمالية لتعظيم الأثر في وعي المتلقي وجدانياً وفكرياً؟

– أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في سعيه إلى سد ثغرة في ميدان الدراسات القرآنية عبر الجمع بين المنهج البلاغي التراثي والأدوات التحليلية الحديثة، يتيح فهماً أعمق لسر التأثير القرآني.

– أهداف البحث:

– الكشف عن وظائفها التداولية والجمالية.

– تقديم نموذج تحليلي يجمع بين المناهج البلاغية والتداولية والجمالية.

– منهجية البحث:

يعتمد البحث مقاربة تكاملية تقوم على:

أ– المنهج الوصفي التحليلي: لرصد الظاهرة وتصنيفها.

ب–المنهج التداولي: للكشف عن كيفية توجيه التكرار للمتلقي بوساطة أفعال الكلام والسياق وقواعد المحادثة.

– المنهج الجمالي–الصوتي: لتحليل البنية الإيقاعية والأثر الوجداني.

أولاً– الإطار النظري ومفاهيم البحث التأسيسية:

يُعدّ التكرار الصوتي من أبرز الظواهر الأسلوبية التي لفتت انتباه الدارسين قديماً وحديثاً، إذ يكشف عن طاقة اللغة في توظيف الصوت بوصفه وسيلةً للتأثير والإقناع.

1– التكرار الصوتي: يعرف التكرار بأنه "خاصية لغوية بلاغية من خصائص اللغة العربية، تُستخدم للتأكيد وإثارة انتباه المتلقي"[1]، ويتحقق التكرار الصوتي عبر أنواع عدة[2]:

أ– تكرار الحرف: والحروف في اللغة العربية تأخذ معناها أو قيمتها من الجملة أو لفظة أخرى تأتي بعدها، وتكرارها يكون بإعادتها فيالجملة نفسها، أو من السياق نفسه لغرض ما، الأمر الذي بالضرورة يكشف عن معانٍ ودلالات تؤثر في حالة المتلقي النفسية وانفعالاته.

ب – تكرار اللفظ: ويكون بإعادة اللفظ في السياق نفيه أو الجملة نفسها، وأيضاً لغرض بلاغي ما عادة يكون توكيد المعنى وما يحمله من دلالة على التعظيم أو الترهيب أو التهويل أو غير ذلك.

ج- تكرار الجملة: ويكون بإعادة الجملة مرة أخرى لغرض بلاغيٍّ دال على أهميتها أو أهمية دلالتها، وتؤثر في المتلقي الذي يتنبه لها بعد تكرارها، فيصله المعنى المطلوب أو المضمون بسبب هذا التأثير، ويعّد هذا التأثير – انتباه المتلقي للمعنى المراد- من أسمى أغراض تكرار الجملة أو العبارة.

فالتكرار الصوتي إذاً ممارسة بلاغية متعدّدة المستويات؛ تبدأ من تكرار الحرف بما يحمله من إيحاءات نفسية وإيقاعية، وتمتد إلى تكرار اللفظ والجملة بما يترتب عليه من مضاعفة الأثر في المتلقي.

2- المنهج التداولي:

أصبحت التداولية في العقود الأخيرة محوراً لاهتمام متزايد في الأوساط البحثية باختلاف تخصّصاتها، نظراً لانفتاحها على ميادين متعدّدة من العلوم الإنسانية، مثل النقد الأدبي، واللسانيات، وتحليل الخطاب، وقد مكّنها هذا الانفتاح من أن تفرض حضورَها في مجال التواصل اللغوي، حيث مثّلت تحولاً نوعيّاً بالتركيز على دور المتلقي ومشاركته في إنتاج المعنى، متجاوزةً بذلك حدود النظرة التقليدية التي قَصَرتِ التَّحليل على مستوى الجملة أو على البعد السياقي وحدَه، لتكشف عن الأبعاد المقصدية والتفاعلية للخطاب، والتداولية "تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخطابي"[3]، وهي دراسة المعنى كما يعبِّر عنه المتكلم أو الكاتب ويؤوله المستمع أو القارئ، وتهتم أكثر بتحليل ما يرمي إليه المتكلمون من ملفوظاتهم، أكثر مما تُعنى بما يحتمل أن تُعبّر عنه الكلمات او الجمل نفسها، وعليه فإنَّ التداولية دراسة لمقاصد المتكلم[4]، أي إنَّها تسعى إلى تحليل اللغة في تفاعلها مع السياق والمقصد والوظيفة، وتكشف عمّا يتضمنه الخطاب من دلالات صريحة وضمنية، ونظرية أفعال الكلام التي وضع أسسها أوستن ثم طوّرها سيرل، تُعدّ إحدى الركائز المركزية في التداولية، إذ تكشف أنَّ القول فعل يُنجز بوساطة اللغة، فهي أداة تفسيرية داخل التداولية لفهم كيفية إنتاج المعنى، وكيف تتحول البنية اللغوية إلى فعل تواصلي له قوة إنجازية.

والفعل الكلامي بحسب هذه النظرية مركب من ثلاثة أفعال وهي[5]:

أ- فعل القول أو الفعل الصوتي أو اللفظي أو الفعل اللغوي، ويتمثل في التلفظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح ينتج عنه المعنى الأصلي، أو في إنتاج أصوات منتمية إلى لغة معينة، وهذا الفعل يقع دائماً مع كل قول، لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول فإنه لا يزال غير كافٍ لإدراكنا أبعاد هذا القول.

ب- فعل متضمن في القول أو الفعل الغرضي أو الإنجازي: ويقصد به ما يؤديه الفعل اللفظي أو الصوتي من وظيفة في الاستعمال، فغاية المتكلم التعبير عن معنى في نفسه كالأمر، والاعتراض، والموافقة، والقبول، والنصح وغيرها.

ج- الفعل الناتج عن القول أو الفعل بواسطة القول أو الفعل التأثيري: وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من تأثير في السامع أو المخاطب سواء أكان التأثير تأثيراً جسدياً أم فكرياً، والغاية منه حمله على اتخاذ موقف، أو تغيير رأي، أو القيام بعمل ما.

فالتداولية تتجاوز حدود التحليل اللغوي الشكلي إلى استجلاء المقاصد والأبعاد التفاعلية للخطاب، وتتيح الكشف عن القوى الإنجازية والتأثيرية التي يختزنها الخطاب، وتجعل من اللغة ممارسة اجتماعية حية، لا مجرد نسق من العلامات.

والتحليل التداولي للخطاب القرآني "يقوم على كشفِ العلاقة التفاعلية بين النص والمتلقي، فالنَّصُّ لا يحمل معنى جاهزاً، بل يوجّه القارئ إلى استنباط المعاني عبر سياقات لغوية وغير لغوية"[6]، في شبكة من السياقات المقصديّة والتفاعليّة.

3- الجماليات الصوتية:

أ- الإيقاع: هو "النقلة على النغم في أزمنة محدودة المقادير والنسب، أو تقدير لزمان النقرات، أو قسمة زمان اللحن بنقرات، وقد فرق النقاد بينه وبين الوزن، فالإيقاع لا يتكرر وفق نمط معين، بل يتباين، ويأتي بصور لا حصر لها"[7]، ويُفرَّق بين الإيقاع الخارجي والداخلي، فالأولُ يرتبط بالشكل الصوتي الظاهر للنص، ويقوم على انتظام النبرات أو تعاقب المقاطع في أزمنة محددة، أما الثاني فيقصد به الموسيقا النابعة من تآلف أصوات الحروف داخل الكلمة الواحدة، والموسيقا النابعة من تآلف الكلمات معاً في الجمل والفقرات، والإيقاع الداخلي نوع من الإيقاع يرتبط بتموجات المعنى، لا باهتزازات الصوت، ويمثِّل البنية العميقة للنسق اللغوي للنص على المستوى النحوي والبلاغي والدلالي[8]، فالإيقاع الداخلي يمثّل البنية العميقة التي تدمج بين الصوت والمعنى، وتحوّل النص من مجرد ألفاظ متجاورة إلى كيان لغوي ينبض بالموسيقا الخفية وبالتناغم الداخلي الذي يقصد به الانسجام الصوتي والمعنوي الذي يتولد من داخل النص، نتيجة تآلف الأصوات والحروف داخل الكلمات، وانسجامها مع أصوات كلمات أخرى في السياق، بحيث ينشأ إيقاع خفيّ يوازي البنية الدلالية والبلاغية للنص، إذ إنّ الأصوات أدوات إيقاعية وجدانية تُثير استجابات نفسية وعاطفية لدى المتلقي، ومن مظاهر التأثير العاطفي للأصوات:

- جرس الحروف: بعض الأصوات تحمل طابعاً قوياً صارماً (مثل: القاف، الطاء، الصاد) فيُحدث وقْعاً من الجلال أو الشدة، بينما أخرى رخوة أو لينة مثل (الميم، النون، الياء) فتبعث الطمأنينة والهدوء.
- التكرار الصوتي: تكرار صوت معين يخلق إيقاعاً يرسّخ المعنى في النفس، ويضاعف أثره العاطفي.
- التنغيم الصوتي: توالي الحروف ذات الصفات المشتركة (الهمس، الجهر، الاستعلاء، الاستفال) يكوّن إيقاعاً يوازي الشعور المراد نقله، كالرهبة أو الرجاء.
- التناسب مع المعنى: حين ينسجم الصوت مع الدلالة، يضاعف التأثير النفسي (كاستعمال الأصوات المجهورة في سياق القوة، أو الأصوات المهموسة في سياق الخوف والخفاء).

فالإيقاع -سواء أكان خارجياً قائماً على انتظام النبرات والفواصل، أم داخلياً منبعثاً من تناغم الحروف والأصوات داخل البنية اللغوية- بعدٌ جماليٌّ أصيلٌ يُضفي على النّص حياةً موسيقية خفيّة، ويُحوِّل اللفظ إلى نغمة دلاليّة، ويجعل التكرار الصوتي أداةً لتوليد الانسجام النفسي والعاطفي لدى المتلقي، فيرتبط المعنى بالجرس، والدلالة بالوقْع السمعي، ليغدو النص وحدةً صوتية معنوية مكتملة.

4- نظرة تاريخية على موقف البلاغيين العرب القدماء من ظاهرة التكرار:

التكرار من أبرز الظواهر الأسلوبية التي وقف عندها البلاغيون والنّقاد القدماء، ورأوا فيه وسيلة فنية للتوكيد والإحاطة، ومظهراً من مظاهر الفصاحة والبيان، وقد أولوه عناية خاصة، إذ رأوا أنّ إعادة اللفظ أو المعنى أمر مقصود لتقوية الدلالة وترسيخها في ذهن المتلقي، فابن جني يقول: "اعلم أنَّ العرب إذا أرادت المعنى مكَّنته واحتاطت له فمِن ذلك التوكيد وهو على ضربين: أحدهما تكرير الأوّل بلفظه، وهو نحو قولك: قام زيد (قام زيد)...، والثاني تكرير الأوّل بمعناه، وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين، الأوّل كقولنا: قام القوم كلّهم ورأيتهم أجمعين...، والثاني نحو قولك: قام زيد نفسُه ورأيته نفسَه"[9]، فالتكرار عنده يخضع لحاجات بلاغية محددة، وابن فارس يرى أنَّ من "سُنن العرب التكرير والإعادة إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"[10]، فهو عادة أسلوبية أصيلة في البيان العربي، هدفها الإبلاغ والإيضاح بحسب درجة العناية بالمعنى، وما ذهب إليه يرسّخ فكرة أن التكرار مرتبط بثقافة القول عند العرب ويمثل أحد أعرافهم التعبيرية.

ويرى عبد القاهر أنَّ "النظم هو توخي معاني النحو في توخي معاني الكلم، فإذا توالت الألفاظ على نسق واحد، وتكررت الأصوات بتناغم معين، فإنَّ المعنى يتولد من هذا النسق وذلك التناغم، لا من مجرد جمع الكلمات"[11]. فالتكرار إذن هو جزء من نظام النظم القرآني المعجز.

أما السيوطي فعدَّ التكرار "أَبْلَغ مِنَ التَّأْكِيدِ وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الفَصاحَةِ"[12]، لأنه يضاعف الأثر في نفس السامع ويزيد النّص جمالاً وقوة إقناع، وهو بهذا يؤكد البعد الجمالي للتكرار إلى جانب وظيفته التوكيدية.

ويتضح من مواقف النقاد والبلاغيين القدماء أن التكرار ضرورة بلاغية مقصودة، غايتها التوكيد وتقوية الدلالة وتثبيت المعنى في ذهن السامع، وقد أجمعوا على أنه من سنن البيان العربي ووسائل فصاحته، يجمع بين الوظيفة التوكيدية والبعد الجمالي، وأنّه يشكّل جزءاً جوهرياً من النظم القرآني المعجز، حيث تتعاضد الأصوات والمعاني لتوليد أثر بياني يتجاوز حدود التأكيد إلى تحقيق الإقناع والجمال معاً.

ثانياً- الوظيفة التداولية للتكرار الصوتي في توجيه المتلقي:

يُعدّ التكرار الصوتي من أبرز الأدوات التداولية التي يوظفها النص القرآني لإنتاج أفعال كلامية متنوّعة، تؤثر مباشرة في المتلقي، وتوجّهه نحو موقف شعوري أو سلوكي معين، فهو لا يقتصر على الجانب الشكلي المتمثل في إعادة الأصوات، بل يتجاوزه إلى وظيفة مقصديّة تواصلية، عبرَ ما يتركه من أثر نفسي عميق، سواء عبر التوكيد، أم الترهيب، أم الترغيب، أمعبرَ خرق توقعات المتلقي.

1- التكرار بهدف التأكيد وتركيز المعنى:

يظهر هذا التكرار جلياً في سورة النبأ، في قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (5)**﴾. فإعادة الجملة نفسها بصيغتها الصوتية واللفظية يضاعف من قوة التوكيد، ويؤكد حتمية تحقق المعنى، بحيث لا يترك للمتلقي مجالاً للشك أو التردد، ومن منظور تداولي، فإنَّ هذا التكرار يمثّل فعلاً كلامياً إنجازياً يرسّخ اليقين، ويُحدث أثراً نفسياً من الحزم والقطع، إذ يُشعر المخاطَب بأنَّ الأمر مقطوع به لا يحتمل الجدل، وتكرار التركيب

في هذا الموضع أداة بلاغية تداولية غايتها نزع الشك أو التردد من قلوب المشركين المشككين بالبعث، وتثبيت حقيقة المصير المحتوم.

ويلاحظ أن الفاصلة في الآيتين تنتهي بحرف مد (واو مدية) يتلوه حرف صامت (النون)، وهذا التركيب الصوتي يؤدي وظائف تداولية وجمالية، ومنها الإطالة الصوتية عبر المد التي تمنح الكلمة امتداداً يتيح للمعنى أن يترسّخ في ذهن المتلقي ويستقر في السمع، والانغلاق الحازم عند النون الساكنة، وهذا الانغلاق يقطع الصوت فجأة بعد الامتداد، فيوحي بالقطع واليقين، ثم إنَّ تكرار الفاصلة بالصورة نفسها يخلق جرساً خاصاً، ويعزّز أثر التهديد أو التوكيد.

2- التكرار بهدف التهديد أو الترهيب: يتجلى هذا التكرار في سورة الفلق، حيث يبرز تكرار أصوات القلقلة والتفخيم (القاف، الدال) بما تحدثه من وقْع قوي في الأذن، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)**﴾.

يتجلّى البعد التداولي للتكرار الصوتي في سورة الفلق بوساطة بروز أصوات القلقلة (القاف، الدال) والأصوات الجهرية ذات الجرس الثقيل، فتكرار جرس القاف والدال بنبرة قلقلة واضحة، يولّد نغمة مهدِّدة تبعث في نفس المتلقي شعور الخوف والرهبة من الشرور المستعاذ منها، وهذا التكرار الصوتي يُنجز فعلاً كلامياً ترهيبياً، إذ يضاعف الإحساس بالخطر المحدق، ويُوجّه المتلقي إلى ضرورة الاحتماء بالله، فيتحقق الغرض الاتصالي للنص القرآني عبر تفعيل البنية الصوتية في خدمة الوظيفة الإنذارية.

وتنتهي آيات السورة بفواصل قصيرة محكمة، تتمثل في حروف صامتة (القاف، الباء، الدال)، ويسبق كل منها حرف صامت آخر، فتحدث إيقاعاً مقفلاً، وهذا النمط الصوتي يقطع المعنى قطعاً حازماً، ويُحدث في الأذن وقْعاً قوياً يذكّر بالطرق أو الضرب، فيتوافق مع دلالة التهديد والترهيب، فالتكرار في القرآن الكريم "تأكيد للمعنى وتثبيت له في النفس، يصحب ذلك تنغيم صوتي خاص يوحي بالمعنى الذي يقصده القرآن، فتكرار الحروف المفخمة... يوحي بالرهبة والتحذير، بينما تكرار حروف المد واللين في آيات الرحمة يوحي بالسكينة والاطمئنان، وهذا من أعظم أسرار الإعجاز الصوتي في القرآن"[13]، فالأصوات الجهرية المقلقلة في هذه السورة ترجمت المعنى التداولي المراد، وأحاطت المتلقي بهالة من التوتر النفسي والشعور بالخطر، ورسخت الوظيفة الاتصالية للسورة في التحذير من الشرور.

3- التكرار بهدف الترغيب وخلق الطمأنينة في سورة الناس:

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)**﴾. يُلحظ في هذه السورة التكرار المكثف للفظ (النَّاس)، مقروناً بحروف مستفلة (النون، السين) تمنح الكلام إيقاعاً هادئاً متدفقاً يبعث الطمأنينة في الأذن، ويعيد التوازن النفسي للمتلقي، ويُقابِل بذلك التوتر الذي يولّده ذكر الوسواس، وهذا التكرار ينجز فعلاً كلامياً ترغيبياً، إذ يربط المتلقي باللجوء إلى الله (رب الناس، ملك الناس، إله الناس)، فيغدو التكرار نوعاً من الإلحاح الصوتي الذي يخلق شعوراً بالأمان.

والفواصل في السورة تنتهي بحرف السين الصامت المهموس، وهو صوت صفيري ممتد يذوب في السمع دون قسوة، فيخلق نوعاً من الانسجام الهادئ، وتكرار السين في ختام كل آية يحقّق إيقاعاً موحّداً مريحاً، يتماشى مع الترغيب في الاستعاذة وخلق جو من السكينة علىالرغم من الحديث عن خطر الوسواس، أي إنَّ التكرار الصوتي في سورة الناس، عمل على توليد طاقة وجدانية هائلة، فتكرار الأصوات المهموسة (كالسين) خلق همسة صوتية توحي بالاستسلام واللجوء[14]، وجعله يأنس باللجوء إلى الله من كل وسواس، وهكذا يتكامل الصوت مع الدلالة التداولية ليحقق غاية السورة، المتمثلة في حماية المؤمن عبر الطمأنينة التي تفيض من إيقاعها الصوتي المتكرر.

4- التكرار ومبدأ التعاون التداولي دراسة حالة تطبيقية لسورة القارعة:

قال تعالى: ﴿**الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (4) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (5) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ (11)**﴾.

يبدأ النَّص القرآني بكلمة (القَارِعَةُ)، ويتوقع المتلقي أن يتلقى شرحاً أو تعريفاً لهذه الكلمة الغريبة المهيبة، لكن الخطاب يفاجئه بإعادة الكلمة نفسها مسبوقة باستفهام، وهذا التكرار يمثّل انزياحاً عن مبدأ الكفاية والوضوح عند غرايس[15]، حيث ينتظر المتلقي البيانَ، لكن التعبير القرآني يُقدَّم الغموض، إلا أنَّ هذا الانزياح عن الوضوح له غاية بلاغية مقصودة، فهو يضاعف من شحنة التوتر النفسي لدى المتلقي، ويضعه مباشرة في أجواء الحدث المهول، فالتكرار ههنا أداة تداولية تتحكم في أفق انتظار المتلقي، وتحوّله من حالة طلب الفهم إلى حالة انتظار مشوب بالرهبة والدهشة.

والكلمة المحورية المتكررة (القارعة) تتكون من أصوات ذات طبيعة قوية، فالقاف صوت مجهور شديد مستعلٍ، يخرج مع القلقلة، فيُحدث طرقة قوية على الأذن، تحاكي معنى القرع، والراء صوت متكرر مهتز، يخلق رجّة داخلية تتناسب مع رجّة القلوب عند وقوع الهول، والعين والهاء في الختام أصوات حلقية تضيف بُعداً غريباً عميقاً للنطق، وكأنها امتداد لصدى الهول، فالتكرار الصوتي يحمل في طياته محاكاة صوتية للحدث الموصوف، فالقيامة كقارعة تطرق الأسماع والقلوب.

وإنَّ الأثر التداولي والانفعالي للتكرار في هذه السورة يكمن في أنه يصنع تجربة سمعية وجدانية يعيشها المتلقي، وهذا التكرار الإنذاري يعمل بوصفه فعلاً كلامياً إنجازياً غايته إحداث رجة نفسية في قلب السامع، بحيث لا يكتفي بفهم معنى القارعة، بل يتحسَّسُ وجدانياً هولها، وبذلك يجسد التكرار مبدأ بلاغياً تداولياً، يتمثل في أنَّ القول فعلٌ، والوظيفة التداولية للتكرار الصوتي تتمثل في خرق التوقعات التداولية للمتلقي، لتوجيه ذهنه نحو غرض بلاغي أعمق، وفي استثمار الطاقة الصوتية للقاف والراء لإحداث رجَّة صوتية تحاكي هول يوم القيامة، والتكرار التركيبي **(فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)، (وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ)** يُحدث تقابلاً ثنائياً صارماً، يعكس عدالة مطلقة لا تحتمل وسطاً، ويوجّه المتلقي إلى إدراك حتمية الفصل النهائي، فلا مجال للالتباس أو الظن بوجود طريق ثالث، وختام السورة يجيء بتكرار الإبهام والتهويل، فالسورة تختم كما بدأت **(وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ)** إذ يعاد السؤال (وما) الذي جاء في البداية، فيتكرر الإبهام والتهويل، ثم يُكشف النقاب عن الحقيقة المروعة: **(نَارٌ**

حَامِيَةُ)، فالتكرار هنا يقوم بدور تداولي بالغ الأثر، وهو شدّ المتلقي إلى ذروة الانفعال قبل الكشف، ليكون وقع الحقيقة أقوى في النفس، ويمكن القول: إن التكرار الصوتي حقَّق فعلاً كلامياً مركباً يجمع بين التهويل والإقناع والتأثير العاطفي.

ويتضح من مجمل الأمثلة والتحليلات أنَّ التكرار الصوتي في النَّص القرآني أداة تداولية فعّالة لتوجيه المتلقي وصناعة الأثر النفسي العميق فيه، فهو يؤكّد الحقائق الكبرى ويقتلع الشكوك من القلوب كما في النبأ، ويثير الرهبة والخوف من الشرور كما في سورة الفلق، ويبعث الطمأنينة والسكينة كما في سورة الناس، ويهزّ الوجدان بوقع الرجة الصوتية كما في سورة القارعة، وهكذا يعمل التكرار على تحقيق أفعال كلامية متنوّعة (توكيد، ترهيب، ترغيب، خرق للتوقع) تنقل النَّصَ من مستوى القول إلى مستوى الفعل المؤثر، جامعاً بين قوة الصوت ودقة المقصد، فيغدو وسيلة بلاغية تداولية تتجاوز اللفظ إلى صناعة الموقف والانفعال والتوجيه السلوكي للمتلقي.

ثالثاً- الوظيفة الجمالية والإيقاعية للتكرار الصوتي وبناء العالم النفسي:

1- تشكيل الهوية الصوتية لسورة الإخلاص:

قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (4)**﴾.

يتكرر لفظ الجلالة مرتين، ويكرر لفظ (أحد) في المطلع والختام، بما يشكل إطاراً صوتياً دائرياً يحاصر السورة، ويثبت معاني التوحيد في ذهن المتلقي،

والسور تنتهي بفاصلة موحدة هي الدال، واعتمادها على فاصلة موحدة، منحها جرساً رقيقاً شفافاً وتكراراً صوتياً متوازناً، وجعلها من أكثر السور التصاقاً بالذاكرة، حتى إن المتلقي يحفظها سريعاً ويرددها باستمرار، فتغدو بمثابة شعار صوتي إيماني للهوية الإسلامية.

والجمال هنا يتجسد في التماثل والانسجام، فكل آية قصيرة، متوازنة في الطول، محاطة بتكرار دلالي وصوتي، يخلق وحدة معمارية محكمة، فالتكرار الصوتي في السورة يجسد بنية فنية متكاملة تعطي السورة إيقاعها الخاص، و "يخلق نسقاً موسيقياً يسهل حفظه وترديده، ويؤثر في اللاوعي السمعي للمتلقي"[16].

2- التنغيم والصورة الذهنية في سورة الكوثر:

تمثل السورة صورة دقيقة للتناغم الصوتي المعجز الذي يولده التكرار، حيث نجد في قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (3)**﴾ أن التنغيم عنصر جليٌّ، إذ يتوزع النَّص القرآني على ثلاث آيات قصيرة، تتكرر فيها بنية صوتية تعتمد على حرفي (الكاف، والراء)، مع تماثل فواصل الآيات عبر حرف (الراء)، وتكرار بنائي، يتمثل في استخدام (إنَّ) مرتين في الآية الأولى والثالثة، وهو تكرارٌ يخلق نمطاً متناظراً يجعل السورة تبدأ بتوكيد العطاء وتنتهي بتوكيد الانتصار.

والتكرار هنا يمتد إلى الأصوات، فالألف في (أعطيناك) تولّد صورة الامتداد والفيض، بما ينسجم مع مضمون الكوثر الذي يعني الخير الكثير.

وهوية السورة تتشكل في ذهن المتلقي مشبعة بالصور الصوتية، حيث يصبح التكرار أداة لتوليد الإحساس بالعطاء المستمر، وبالامتداد النفسي والمعنوي.

3- دراسة حالة تطبيقية لسورة الشرح:

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (2) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (3) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (4) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (6) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)**﴾.

في هذه السورة هناك تكرار متناظر (**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**)، عبر إعادة الجملة نفسها مرتين بصياغة صوتية متطابقة ترسّخ في نفس المتلقي قانوناً إلهياً ثابتاً، وهو أنَّ كلَّ عسرٍ يعقبه يسرٌ.

والحروف المتكررة (العين، السين، الراء) تعطي وقعاً ثقيلاً في كلمة (العسر)، في حين المد في (يسراً) يخفف من الثقل، ويبث إحساساً بالانفراج، وهذا التناوب الصوتي بين الثقل والخفة يترجم المعنى النفسي بين الضيق والفرج.

والتكرار هنا بناء إيقاعي متوازن، حيث توزع الكلمات على وزن واحد تقريباً، وتخلق تناغماً يجعل السورة سهلة الحفظ، وقابلة للاستدعاء في مواقف الشدة، أما من حيث الأثر النفسي فالتكرار يترك أثراً بالغاً في النفس، إذ يمنح المتلقي طمأنينة ويزرع فيه الأمل والثقة، فيتجاوز وظيفة الإخبار ليصبح علاجاً نفسياً قائماً على التوكيد الصوتي والمعنوي.

ويتبيَّن بهذه النماذج أنّ التكرار الصوتي في القرآن الكريم عنصرٌ جماليٌّ وإيقاعي أصيل، يبني هوية السورة الصوتية، ويرسخ صورتها الذهنية، وصياغة عالمها النفسي، ففي سورة الإخلاص يتجلى التماثل والانسجام الذي يحوّل السورة إلى شعار إيماني خالد، وفي سورة الكوثر يصبح التكرار الصوتي والدلالي أداة لتوليد الإحساس بالعطاء والامتداد، أما في سورة الشرح فإنَّ التكرار الإيقاعي يرسّخ قاعدة الطمأنينة ويترجم التحول من العسر إلى اليسر في صورة صوتية وجدانية، وهكذا يتكامل البعد الجمالي مع الأثر النفسي، فيغدو التكرار الصوتي بنية فنية وروحية معاً، تحفظ النص في الذاكرة وتبني مع المتلقي علاقة وجدانية دائمة.

رابعاً- قراءة تداولية جمالية متكاملة لسورة الفاتحة:

قال تعالى في سورة الفاتحة:

﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (7)**﴾.

1- تحليل تداولي: إنَّ التأمل في الفضاءات الصوتية لسورة الفاتحة يكشف عن بناء جمالي متكامل يقوم على التآلف بين الحروف والتناسق بين الكلمات، وهو ما يمنح السورة إيقاعاً داخلياً فريداً، فالفواصل القرآنية جاءت متناغمة في اختيارها لصوتَي (الميم والنون)، وقد أضفى هذا الاختيار إيقاعاً موسيقياً يفيض بخشوع ورجاء، ولا سيما أنّ هذين الصوتين يقترنان غالباً بصائت طويل هو (الياء)، صائتٍ يضاعفُ من الأثر الإيقاعي، وهذا التوزيع الصوتي ينطوي على قصد تداولي، إذ إنّ الموسيقى الداخلية التي تبعثها الأصوات تمثل أداة تواصلية تُرسّخ المعنى في المتلقي نفسه، وتجعله أكثر استعداداً للتلقي الوجداني والروحي، وتحقق انسجاماً تداولياً بين البنية الصوتية والسياق الخطابي للسورة، فيغدو الجمال الصوتي جزءاً من مقاصد الخطاب القرآني نفسه.

فالراء والحاء والميم في (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) يظهران في مركبات دلالية مرتبطة بالرحمة، فالجذر (ر، ح، م) يتكرر بصيغتين متقاربتين صوتياً، و(الميم) صوت أنفي نغمي يمنح لفظةَ الرحمة رفقاً موسيقياً يسهِّل الانصات، ومن المعلوم أن هناك علاقة بين الصوت وبين الكلمة التي وظّف فيها، وقد نبَّه ابن جني إلى هذا، فقال: "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره"[17]، وتكرار الجذر(ر، ح، م) مع ما يوفره من جرس أمام المخاطَب يبعث الطمأنينة، ويؤدّي إلى الترغيب، ويخلق مناخاً يهيئ القلب لقبول الدعاء والتمسّك بالرجاء.

وتكرار صيغة الجمع (نعبدُ، نستعينُ، اهدِنا) يُؤطّر العبادة والدعاء بصِيغةٍ جمعيّة، ومن زاوية أفعال الكلام فإنَّ (إيّاكَ نعبدُ) جملة إخبارية تصريحية تتضمن الالتزام عبر الإعلان عن حصرية العبادة، و(إيّاكَ نستعينُ) فعلٌ كلاميٌّ مراد منه الحصر يعكس التماساً للعون مضمّناً في صيغة الجماعة، وهذا الجمع يحول الالتماس إلى ممارسة اجتماعية تتجاوز الفردية، أما (اهدِنَا) فهو فعل كلامي طلبي توجيهي مباشر أريد منه الدعاء، وهذا البناء التداولي يحقق وظيفة مزدوجة، وهي توثيق انتماء الجماعة عبر صيغة الجمع، وخلق فعل تواصلي مباشر مع المخاطَب الإلهي.

2- تحليل جمالي-إيقاعي:

تُشكّل المدود علامة واضحة في سورة الفاتحة، فهي تنشئ محوراً صوتياً أساسياً في بنائها الإيقاعي، إذ تُكسب التلاوة بعداً موسيقياً يرسّخ المعنى في المتلقي نفسه، ويولّد حالة وجدانية وروحانية، ففي (العالمين) مدان يكسبان اللفظ إيقاعاً مرناً متنوّعاً، يجعل ختام الآية موسيقياً مفتوحاً، وفي (الرَّحْمَٰنِ، الرَّحِيمِ) الأصوات الممدودة هي (الألف والياء)، تخلق انسياباً نغمياً رقيقاً، وهذا الامتداد الصوتي يتناغم مع معنى الرحمة واللين، فيولّد إحساساً بالسكينة والاطمئنان، ويشكّل تكرار المد هنا تمهيداً موسيقياً يرسّخ هوية السورة كخطاب رحمة وعناية، وفي كلمة (مَالِكِ) نجد مدّاً طبيعيّاً يعطي انسياباً صوتياً واضحاً منذ مطلع السورة، ويهيئ ن القارئ نفسه للانتقال إلى صفة عظيمة هي الملكية المطلقة، والإطالةُ هنا تمنحُ الكلمة وقع الهيبة؛ إذ يمتد الصوت قليلاً في (ما) وكأنه يفتح فضاءً للرهبة والجلال.

ومدّ الواو في (يوم) يوسّع الزمن الصوتي للتلفظ، فيُشعر المتلقي بامتداد الزمن الكوني إلى يوم الحساب، ثم يأتي مدّ الياء في (الدين) ليُحدث انغلاقاً نغمياً يشي بالتمام والجدية، وتوالي هذه المدود يعزز حضور رهبة الموقف ويمنح السامع إحساساً بالهيبة والوقار.

وكلمة (إيَّاكَ) فيها مدّ طبيعي يعطي الكلمة مطلعاً ممتداً يوحي بالتركيز والإلحاح على المخاطَب (الله تعالى)، أما التشديد في (الياء) فيُضاعف زمن النطق، فيُحدث تمديداً صوتياً إضافياً ويحدث إيقاعاً قوياً مشدوداً، وامتداد المدّ بالياء ثم الألف، مع التشديد، يولد تركيزاً صوتياً يوازي وظيفة الحصر البلاغي (إياك نعبد)، فيُشعر السامع بأن الخطاب مقيّد وموجَّه حصراً إلى الله عزَّ وجل.

وكلمة (نَسْتَعِينُ) فيها مدّ يعطي الكلمة جرساً ليناً، وهذا الامتداد في الخاتمة يعطي الكلمة انفتاحاً وانسياباً يوحي بالرجاء والطلب المستمر للعون، ويترك صدًى صوتياً متأملاً، يتناسب مع مقام التضرع.

وفي (الصِّرطَ المُسْتَقِيمَ) المدود بالألف والياء تمنح وقعاً ممتداً يوحي بالثبات والاستقامة، والتوازن بين المد القصير (الصِّرطَ) والطويل (المُسْتَقِيمَ) في هذين الموضعين يعكس انسجاماً بين اللفظ والمعنى، فهو طريق ممتد واضح ومستقيم لا اعوجاج فيه، وهذا الإيقاع يربط التلاوة بالتصوير الذهني للحركة نحو الهداية، والمدّ في آخر الكلمة (الْمَغْضُوبِ) يعطي قَطعاً إيقاعياً مميزاً، ويخلق إطالة تُبرز فعل الغضب وتُضفي على الكلمة رهبة ثقيلة، تتوافق مع المعنى التحذيري.

أما مدّ (الضَّالِّينَ) فهو أطول مواضع المدود في الفاتحة، (مد لازم كلمي مثقل، ومد عارض للسكون)، والامتداد الصوتي هنا بالغ الأثر، إذ يرسم نغمة طويلة ثقيلة، تجسد معنى الضلال والتيه، والجمالية تكمن في أن الصوت الممدود لا ينقطع بسرعة، بل يظل ممتداً على نحو يعكس امتداد الانحراف عن الصراط، فيزرع في قلب السامع تحذيراً ضمنياً من مغبة الضلال، عبر امتداد زمني يُحاكي امتداد التيه.

وإنَّ تكرار هذه المدود يُحدث توازناً إيقاعياً بين الانبساط في ألفاظ الرحمة والهداية والانقباض في ألفاظ الحساب والضلال، والإيقاع الناتج عن المدود يجمع بين اللين والشدّة، فيتدرج السامع من الاطمئنان في (الرحمن الرحيم) إلى الجدية في (يوم الدين) ثم إلى التحذير في (الضالين)، ويشكّل هذا التدرج الصوتي بنية موسيقية متكاملة، تجعل الفاتحة سهلة الحفظ وراسخة الأثر، كما تؤدي وظيفتها التداولية في التذكير والإنذار والرجاء.

ثم إنَّ السورة تأتي على فواصل قصيرة متساوية تقريباً، تخلق شعوراً بالانتظام، حيث يربط المتلقي بين الصوت والمعنى، وبين الرحمة واليقين بالحماية الإلهية، ويخرج المتلقي من التلاوة بحالة نفسية متوازنة، مليئة بالرجاء والأمل، بفضل هذا النسق الصوتي الذي يكرس حضور الرحمة في الذهن والقلب معاً.

3- التكامل التداولي-الجمالي:

تخلق السورة تجربة روحية كاملة التعاضدِ بين الموسيقا والمعنى، فالتكرار الصوتي لـ (النون والميم) يُهدِّئ القلب في اللحظة نفسها التي يعبر فيها عن التزامِ العبادة والاعتماد الجماعي، أي إنَّ الصوت يهيّئُ النفس، والجمل توجّهُها دلالياً.

ويلحظ التدرّجُ التوظيف الصوتي، فالسورة تبدأ بحمدٍ يثبت الأصل العقدي (الْحَمْدُ لِلَّهِ)، ثم تنتقل إلى صفتَي الرحمة اللتين تكرّران لتهيئة النفوس، ثم تُعلن مُلْكِيَّة الله ليهيب القلب، ثم نداء جماعيّ (اهدِنَا) مشحون بصيغة الجمع، وهذا التدرّج يضمن أن يكون الطلبُ مرفوعاً على قاعدة جمالية صامتة تتضمن قلباً معداً ومهيئاً بالمدّ واللين، وجماعة مُؤكَّدة بصيغ (نا).

والأثر العملي الروحي يتمثل في تحويل التلاوة إلى فعل عبادي فعّال، فعل يغيّر موقف القلب، ويؤسس شعوراً جماعياً بالانقياد والاعتماد على الله، ويؤمن للمجتمع صوتاً نمطيّاً يعيد تشكيل وجوده الروحي في كل تلاوة.

ويمكن القول: إنَّ التكرار الصوتي في هذه السورة، والصيغ الصرفية–النحوية للجمع، تمثل أدوات توجيه بلاغية تداولية، فالصوت يهيئُ القلب، والصياغة الجماعية تؤسّس هويةً متبادلةً، وفعلُ الطلب يُنجز التوجه الروحي الجماعي.

وسورة الفاتحة تمثل أنموذجاً متكاملاً للتداخل بين البنية التداولية والجمالية، حيث يتحول التكرار الصوتي والمدود والتنغيم إلى أدوات فاعلة في إنتاج المعنى وتوجيه المتلقي، فالتدرج بين الرحمة والرهبة، وبين الانبساط والانقباض، يخلق عالماً صوتياً نفسياً يجعل التلاوة فعلاً تواصلياً ووجدانياً في آنٍ، وتتعاضد الموسيقا الداخلية مع البنية الخطابية لتوليد تجربة روحية متكاملة، يتوحّد فيها الفرد مع الجماعة في نداء جامع، وتُختَتم السورة بحالة من السكينة الممزوجة بالرهبة، ليبقى أثرها النفسي والروحي ممتداً في الذاكرة والوجدان.

خامساً– الخاتمة:

– أظهر البحث أن التكرار الصوتي في السور القصار يمثل أداة بلاغية تداولية وجمالية متعددة الوظائف، وأنه ممارسة لغوية مقصودة تدمج بين البنية الصوتية والدلالة التداولية.

– أثبت التحليل أنَّ التكرار الصوتي يُنجزُ أفعالاً كلامية متعددة، مثل التوكيد الذي يرسّخ اليقين وينزع الشك كما في سورة النبأ، والترهيب الذي يبعث الخوف والرهبة كما في سورة الفلق، والترغيب الذي يخلق الطمأنينة ويُشعر بالأمان كما في سورة الناس، إلى جانب خرق التوقعات التداولية للمتلقي كما في سورة القارعة.

– أسهم التكرار الصوتي في توجيه المتلقي سلوكياً ووجدانياً نحو الاستجابة لمقاصد الخطاب القرآني.

– بيّن التحليل أنَّ التكرار يسهم في تشكيل هوية صوتية خاصة لكل سورة، مثل الطابع الدائري المتناغم في سورة الإخلاص، والتنغيم الممتد الموحِي بالعطاء في سورة الكوثر، والإيقاع المتوازن المطمئن في سورة الشرح.

– تبيّن أنَّ المدود وتكرار الأصوات المستفلة أو المجهورة لها دور في خلق صور سمعية ذهنية ترتبط مباشرة بالمعاني العقدية والوجدانية.

– كشف البحث أنَّ التكامل بين البعدين التداولي والجمالي يفتح أفقاً أعمق لفهم النص القرآني، إذ يتعاضد الصوت مع المعنى لتوليد تجربة متكاملة، فالصوت يثير الانفعال، والمعنى يوجّه السلوك، لذا فإن التكرار الصوتي يُمثّل جزءاً من الإعجاز القرآني، لأنه يربط بين الأداء الصوتي والوظيفة التداولية في شبكة واحدة منسجمة، تضمن التأثير في العقل والقلب معاً.

– تبيَّن أنَّ إعادة قراءة التكرار الصوتي بمنهج تكاملي يعيد الاعتبار إلى البعد السمعي للنص القرآني، وقد برزت أهمية الجمع بين التحليل التداولي والجمالي في الكشف عن أبعاد جديدة من إعجاز القرآن، خصوصاً في السور القصار التي يعتمد تلقيها غالباً على الأثر الصوتي المباشر.

سادساً– التوصيات:

– تطبيق هذا النموذج على سور قصيرة أخرى تتسم بكثافة التكرار مثل (التكاثر، الزلزلة، العاديات)، لاكتشاف التنوع في الوظائف التداولية والجمالية للتكرار.

– ضرورة تحليل التكرار الصوتي في سياق السورة كاملة، لا في آية أو موضع معزول، لأن انتظام التكرار عبر فواصل السورة يكوّن البنية الإيقاعية الكلية التي لا تكشفها المقاربة الجزئية.

– الاستفادة من أدوات التحليل الصوتي الرقمي مثل تحليل الطيف الصوتي (Spectrogram Analysis) لرصد طول المدود، ودرجة الجهر والهمس، والذبذبات الصوتية، وربطها بالتحليل البلاغي التداولي، فهذا الربط سيفتح مجالاً لدمج اللسانيات الحاسوبية بالدراسات البلاغية.

– عقد دراسات مقارنة بين مقولات النقاد القدماء (ابن جني، عبد القاهر، السيوطي) ونتائج التحليل التداولي–الصوتي الحديث، لإظهار كيف أن آراء القدماء يمكن أن تدعمها تقنيات علم الأصوات المعاصرة.

– إدخال هذا النموذج التحليلي في تدريس البلاغة القرآنية والتجويد، لإبراز كيف أن الأداء الصوتي عنصر مقصدي بلاغي يرسّخ المعنى ويوجه المتلقي.

الهوامش:

(1) عواد عبد الرحمن صياح الرويلي، التكرار في القرآن الكريم دراسة بلاغية سورة الرحمن أنموذجاً، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (80)، العدد (4)، أبريل، 2020، ص 207.

(2) المرجع السابق، ص 211.

(3) فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، الطبعة الأولى، 2017، ص 17.

(4) انظر: المرجع السابق، ص 17، 18.

(5) العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، ص56.

(6) محمد محمد يونس علي، المنهج التداولي في تحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011، ص 215.

(7) ينظر: نعيم اليافي، الشعر العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981.
ص 163.

(8) ينظر: عبد العزيز موافي، قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص 354، 355.

(9) ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الرابعة، د، ت، ج/3، ص 104، 106.

(10)أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الطبعة الأولى،1997، ص 158.

(11) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، 1992، ص 356.

(12)جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ج/3، ص 224.

(13) فاضل صالح السامرائي، الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراكيب القرآن، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2014، ص 137.

(14) انظر: حسناء قادير، التكرار الصوتي في القرآن: دراسة في التشكيل الجمالي، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر العاصمة، الجزائر، أطروحة دكتوراه محكمة، ص 68.

(15) "طوّر الفيلسوف الأمريكي "غرايس" في تناوله لكيفية اشتغال اللغة الطبيعية في التواصل نظريّة مقتضاها أنَّ المتخاطبين لا يندفعون إلى التبادلات الكلامية إلا وهم يسلمون بالتعاون فيما بينهم لإنجاح هذه التبادلات، وتحقيق الأغراض التي راموها، وذلك لا يتم إلا ببذل كل طرف من الأطراف جهداً من أجل تحقيق ما يصبو الوصف إليه بوساطة انخراطه في الكلام ومشاركته فيه، وعليه، يكون تحقيق التواصل الأمثل مشروطاً بالتعاون"، ووضع لهذا المبدأ مجموعة من القواعد، منها الكمية/ الكم، والكيفية/ الصدق، والملاءمة/ العلاقة، والطريقة الأسلوب. زينة براهمية، الخطاب القرآني وإستراتيجيات التحليل التداولي– مبدأ التعاون أنموذجاً، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد(7)، العدد(2)، جوان 2023، ص 476.

(16) عبد السلام المسدي، إيقاع النص القرآني، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2008، ص 92.

(17) ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، ج/2، ص 159.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الطبعة الأولى،1997.
3. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ج/3.
4. ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الرابعة، د، ت، ج/3.
5. حسناء قادير، التكرار الصوتي في القرآن: دراسة في التشكيل الجمالي، منشورات جامعة الجزائر، الجزائر العاصمة، الجزائر، أطروحة دكتوراه محكمة.
6. زينة براهمية، الخطاب القرآني وإستراتيجيات التحليل التداولي– مبدأ التعاون أنموذجاً، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، المجلد (7)، العدد (2)، جوان 2023.
7. عبد السلام المسدي، إيقاع النص القرآني، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 2008.
8. عبد العزيز موافي، قصيدة النثر من التأسيس إلى المرجعية، سلسلة العلوم الاجتماعية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006.
9. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية، 1992.
10. عواد عبد الرحمن صياح الرويلي، التكرار في القرآن الكريم دراسة بلاغية سورة الرحمن أنموذجاً، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (80)، العدد (4)، أبريل، 2020.
11. العيد جلولي، نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب.

12. فاضل صالح السامرائي، الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراكيب القرآن، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، 2014.
13. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، الطبعة الأولى، 2017.
14. محمد محمد يونس علي، المنهج التداولي في تحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011.
15. نعيم اليافي، الشعر العربي الحديث، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1981.